UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190863

UNIVERSAL
LIBRARY

الكتابة والكتب

تأليف

علي احمد الشهيدي

بنظارة الحربية بمصر

وهي المحاضرة التي ألقاها المؤلف في نادي متخرجي مدرسة الفنون والصنائع الخديوية بمصر في يوم الجمعة ٨ صفر سنة ١٣٢٨ هـ - ١٨ فبراير سنة ١٩١٠ م

(الطبعة الاولى)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

سنة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠

« الكتابة من بين الصنائع اكثر »
« افادة لانها تشتمل على العلوم »
« والانظار بخلاف الصنائع »
ابن خلدون

« الكتابة ضرورة من »
« ضروريات الحياة وفي مقدمة »
« ضروريات التمدن الانساني »
« على وجه العموم نظراً لما فيها »
« من الفوائد العديدة والمنافع »
« الكثيرة التي يحتاجها الانسان »
« قبل كل شيء »

المؤلف

(مطبعة مصر بالفجالة)

المقدمة

٩ الكتابة على وجه العموم
٢٦ « العربية
٣٣ « « وقت الاسلام وبعده
٣٦ « وادواتها
٣٨ « والكاغد (الورق)
٤٠ « المطبعية
٤٩ الكتاب
٥٣ « ورسالة عبد الحميد الكاتب

المقدمة

الحمد لله الذي أوجد الكون من العدم . وخلق السموات والارضين والامم . سبحانه جبل الانسان من سلالة من طين . ثم جعله نطفة في قرار مكين . ثم خلق النطفة علقة فخلق العلقة مضغة فخلق المضغة عظاما فكسى العظام لحماً ثم صوّره في أحسن صورة وفي أكمل تقويم ونفخ فيه من روحه وقال له : كن فكان بشراً سوياً بل انساناً روحانياً علمه الله بنفسه ما لم يعلم . وهداه النجدين فخطّ وكتب بالبنان والقلم ﴿ أما بعد ﴾ فان وجود الانسان في هذه الحياة مقرون دائماً بالعلم والاستفادة والافادة وذلك لا يتأتى مطلقاً الا بالعمل خصوصاً اذا قيض الله للانسان من يربيه ويحسن تربيته ويرشده الى ما يجعله انساناً بالمعنى المراد فانه لا ينبغي له أن يتقاعد أو يتكاسل عن العمل الذي لا يجوز للانسان أن يتمسك به الا اذا كان بالطرق المشروعة يعني أنه لا يشتغل بما يعود على الهيئة الاجتماعية بالضرر أو المفاسد أو الرذائل

أو الموبقات المخالفة لحكمة وجود الانسان الذي اذا عاش في هذه الحياة عضواً عاملاً عليماً بما هو واجب عليه نحو نفسه ونحو غيره كان في الهيئة الاجتماعية روحاً وريحاناً وجنة نعيم . أما أن عاش جاهلاً متقاعداً مضراً فهو نزل من حميم وتصلية جحيم

وعلى العموم فكل من اطلع على تاريخ الانسان وعلى ماجريات أحواله من عهد الخليقة الى الآن لتحقق من أن الانسان في هذه الحياة الدنيا انسانان: انسان بالصورة الذاتية فقط وانسان بالمعنى المراد : فالاول هو الذي لم يحظ من الانسانية الا بالصورة الذاتية من انتصاب القامة واتساع الاظافر والضحك والنطق والحركات والسكنات . ذلك الانسان الذي من عهد أن يشبّ على قدميه لا يكون له عمل يسليه ولا شغل يلهيه ولا فائدة تستفيدها منه الهيئة الاجتماعية فضلاً عن أنه في الغالب يكون ميكروب الضرر وبيت المفاسد يؤذي أهله وأقاربه وجيرانه ومعارفه وذويه وكافة الذين يقعون تحت أنظاره مهما كانت درجاتهم في المال والعلم والقوة

والمقام والادب

فالانسان الذى يكون بهذا الشكل في الحياة الدنيا تكون الطبيعة قد أوجدته حملاً ثقيلاً بل عالة على الهيئة الاجتماعية . أو يكون بالتأكيد مثله كمثل البهائم التي لا تفهم معنى الانسانية ولا تعي المراد من هذه الحياة . أو بمعنى آخر يكون كالعضو الاشل الذي يتحتم على الانسان أن يقطعه لان عدمه خير من وجوده كى لا تنتشر عدواه الى الاعضاء الاخرى فيزداد البلاء ويتعاظم الداء ويعزّ الدواء ويستعصى الشفاء . هنالك تكون الطامة الكبرى والمصيبة العظمى خصوصاً اذا كان الانسان صحيح الجسم سليم العقل قوىّ الارادة فيصرف كل قواه في الحاق الضرر والمفاسد بالانسانية لان الافراد البشرية في هذه الحياة ليسوا الا كالصناع والعمال والآحاد الذين يشتغلون في الورش والمعامل فان تقاعدوا عن العمل ولم يؤدّوا وظائفهم وقفت حركة الاعمال وتعطلت تعطيلاً لا دواء له غير قطع دابر هؤلاء المتقاعدين

أما الانسان الحقيقي الذى يكون انساناً بمعنى الكلمة

فهو الذي متى بلغ أشدّه من الصحة والعقل يلزمه أن يصرف حياته فى الشغل والعمل ليستفيد ويفيد حتى بذلك يكون قد قام بما هو واجب عليه نحو الله ونحو نفسه ونحو أبناء جنسه ونحو وطنه ونحو كافة المخلوقات لأن الانسان في الحقيقة مدين لهؤلاء بديون هائلة لا قدرة له على وفائها الا بالشغل والعمل في هذه الحياة التي تقضي عليه أن لا يترك مثقال ذرّة من أوقاته تذهب أدراج الرياح لانها محسوبة عليه بالثانية والدقيقة بحيث لو تهاون فيها فلا بد وأن يعجز عن وفاء ما عليه من تلك الديون الهائلة فيصبح من المغرقين بين اخوانه العاملين

فالانسان الذي ينهج هذا المنهج هو في الحقيقة أحسن عضو عامل في الهيئة الاجتماعية بل هو فى مقدمة الابطال الذين تفتخر بهم الانسانية في كل زمان ومكان لان الأبطال ليسوا أبطال الحرب والميدان فقط بل الابطال الحقيقيون هم أبطال العمل في معترك الحياة أعني بهم الاشخاص الذين لا يحجمون عن العمل ولا يتكاسلون عن التمسك به دائماً لان كل ما في

هذا الكون عرض زائل وظل سائر حتي المال والبنون أما العمل فانه الذكر الحسن والاثر الخالد الذى يبقى ببقاء هذه الحياة الدنيا . لذلك يلزم أن يكون الانسان عضواً عاملا يستفيد ويفيد بقدر ما أوتيه من سعة العلم والعرفان وكثرة العمل والتجارب التي تؤهله دائماً لان يكون انساناً بالمعنى المراد . ذلك الذي نقرأ منه أن الانسان في هذه الحياة الدنيا يلزمه أن لا يدع أوقاته تذهب هباء فلا يتقاعد عن العمل ولا يتكاسل عن الشغل لانه كيف يرضى بأن يكون حيواناً فقط مع أنه يمكنه أن يصير انساناً عاقلا

وكيف يقنع بأن يكون انساناً بسيطاً أعني فرداً من الافراد البشرية مع أنه يمكنه أن يكون زعيما من الزعماء العظام

وكيف يقبل أن يكون زعيماً مع أنه يمكنه أن يكون ملكا كبيراً تخشع له القلوب وتطأطيء له الهامات

وكيف يستطيع صبراً على أن يكون ملكاً مع أنه يمكنه أن يصير ملا كا في مقعد صدق عند مليك مقتدر فتقوم

الملائكة بخدمته خير قيام كما ورد بالقرآن الشريف حيث قال الله تعالى : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »

والخلاصة أن العمل هو من لزوميات الحياة الدنيا لانه فضلاً عن كونه من واجبات الانسان نحو الله ونحو نفسه ونحو وطنه ونحو أبناء جنسه فانه سلاح نحارب به طوارىء الحدثان وتعدّيات الازمان بل يخفف عنا بعض ما يلحقنا من الشقاء بدليل ما أجمع عليه العلماء والفلاسفة من أن المصائب والرزايا تخفّ وطأتها عن كاهل الانسان كلما صرف أوقاته في العمل والاشتغلال

ومن العجيب أن الغربيين قد وفقهم الله فنظروا في أمر الحياة نظراً بعيداً وتطلعوا للمستقبل تطلعاً طويلاً فتحققوا من أنه لا قوام للهيئة الاجتماعية ولا سعادة للنوع الانساني الا بالعمل الذي به يكون الانسان انساناً حقيقياً وبه تكون الامة أمة راقية وبه يكون منتهى السعادة الانسانية في الحياة كما دلّ على ذلك المثل العربي المشهور وهو : « راحتي في

جراحة راحتي». ذلك الذي جعل الغربيين يقدّرون العمل حقّ قدره فاعتبروه اعتباراً زائداً فاق درجة العبودية بل ألهوه ووضعوه في مصاف الآلهة العظام حتى صاروا لا يأكلون الا للعمل . ولا يروضون أنفسهم الا للعمل . ولا ينامون الا للعمل . ولا يبكرون من النوم الا للعمل كأن حياتهم كلها عمل في عمل فأصبحوا بذلك وهم أساتذة هذا الزمن وقادة الافكار وملاك الرقاب وأصحاب المال والتيجان والصولة والكلمة النافذة في كل مكان . بل أصبحنا في كل يوم وفي كل شهر وفي كل سنة بل دائماً نسمع عن الغربيين أنهم اخترعوا الاختراعات الكثيرة واكتشفوا الاكتشافات العديدة وألفوا المؤلفات المفيدة وصنعوا الصنائع العجيبة التي حصلنا على بعضها فانتفعنا به والبعض عزّ علينا فلم ننتفع به الى الآن

أما الشرقيون فقد ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة من الاهمال أنستهم ما عليهم من الواجبات فأنساهم الله أنفسهم حتى باتوا وهم لا يحسبون للعمل حساباً كأنهم ما خلقوا الا للبطالة والكسل فتقهقروا الى الوراء

وصاروا في أسفل سافلين بعد أن كانوا في أعلا عليين فلا حول ولا قوة الا بالله

نعم نحن لا نسمع عن الشرقيين الا كل ما يخالف الغربيين في النشاط والجدّ والاجتهاد في الاعمال حتى كثرت البراهين على ذلك كثرة هائلة لا محلّ لذكرها هنا الآن انما نكتفي فقط بالاشارة الى اليسير منها كموضوع اختزال الكتابة العربية الذي اهتمّ به أولو العزم فوضعوا لاجله المكافآت المالية والادبية ولم يزل من أمد بعيد معروضاً الى الآن مع أن الغربيين قد سبقونا في هذا المضمار من زمن مديد فوضعوا لكتابتهم اختزالاً عجيباً في وقت سريع حتى صار من المميزات لهم عن عموم الشرقيين الذين لم يوفقهم الله الى الآن لوضع الطريقة المثلى للاختزال المطلوب نظراً لما هم فيه من التقاعد والكسل وعدم الاعتناء بالعمل

على أننا الآن قد لاحظنا في بلادنا المصرية حركة علمية نتوقع من ورائها خيراً كبيراً ولذلك نرجو أن يكون لاختزال الكتابة نصيب منه فيحوز المخترع قصب السبق وينال الشرف

العظيم من الشرقيين عموماً والمصريين خصوصاً . ذلك الذي يدعونا للاشتغال دائماً بهذا الموضوع بل يلزمنا أن نصرف كل عزيز لدينا في سبيل اخراجه من حيز القول الى حيز العمل فلقد طال عليه المطال وكاد ينفذ ما لدينا من الصبر لولا فسحة الامل التي تجلت لنا الآن من الناشئة المصرية التي اشتغلت بهذا الموضوع واهتمت به اهتماماً عظيماً وبحثته بحثاً وافياً حتى وأن بعضهم ألقى فيه محاضرات أقربها تلك المحاضرة التي ألقاها في هذا النادي أحد الادباء الذي بحث في موضوع الاختزال بحثاً علمياً عملياً أما أنا فوان كان موضوعي مشتملاً على طريقة الاختزال من عهد الخليقة الى الآن الا أنني بحثت فيه بالاكثر بحثاً تاريخياً فلسفياً حتى صار موضوعاً هاماً يحسن بالناشئة المصرية بل بالشرقيين عموماً والناطقين بالضاد خصوصاً أن يكونوا على بينة منه ومن أمثاله كي يوفق الله العاملين منهم لاختراع الطريقة المثلى للاختزال المطلوب خصوصاً حضرات مؤسسي هذا النادي وكافة المنتسبين اليه قريبين كانوا أو بعيدين فانهم جميعاً أولى بهذا العمل النافع المفيد نظراً لكونهم من متخرجي

المدارس الصناعية الذين بهم تترقى البلاد وتتقدم التقدم المطلوب اذا اجتهدوا وأخذوا بيد الصنائع والفنون بل بهم تتفهقر جميعاً الى الوراء اذا هم نبذوا الصنائع ظهرياً وتركوها كما هي الى الآن

نعم نحن لا ننكر الشعور الشريف الذي دبّ دبيبه بين النابتة المصرية في هذه الايام . ذلك الشعور الذي سرى في شرايينهم وامتزج بدمائهم الى أن هيمن على أفكارهم هيمنة كانت سبباً لمحاربة ما اتنا بهم من الاهمال الذي كان سيقضي على بلادنا القضاء الاخير ولكن الله سبحانه وتعالى أراد خيراً لهذه البلاد فأنبت لها نباتاً حسناً أنتج تلك النابتة الشريفة التي أصبحت قدوة حسنة لعموم المصريين فأوجدت فيهم نشأة جديدة من نشأة الحياة الانسانية التي بثت فيهم غيرة أجدادنا الاولين فراعنة المصريين حتى أصبحت بلادنا مع ما اشتملت عليه في هذه الايام غيرها في الايام الخالية بدليل ما كان يتلاحظ على المصريين أولاً من الكسل الزائد والميل الشديد لتافه الامور وصرف النظر عن الاعمال الحرة التي

أهمها الصنائع والفنون كالكتابة والبناء والنقش والنجارة والنشارة والحدادة وغير ذلك من الاعمال اليدوية التي لا تترقى الا بحسن الفكر وامعان النظر واتقان العمل . تلك المهن التي كانت من أمد غير بعيد معدودة عند معظم المصريين في الدرك الاسفل تمجها أذواقهم وتأباها طباعهم كانها من المهن السافلة أو الحرف الدنيئة

على أننا لو تصفحنا تواريخ القبائل والامم والدول من عهد الخليقة الى الآن لوجدناها لم تقم لها قائمة ولم تنل حظها في التقدم والتمدن والعمران الا بأسباب كثيرة أهمها تلك الفنون والصنائع حتى وأننا لو أنعمنا النظر قليلاً في داخلية بعض رؤساء القبائل والامم والدول وقواد الجيوش والامراء والملوك والسلاطين قديماً وحديثاً لوجدنا كلاً منهم قد احترف بحرفة من الحرف المذكورة بناء على أنها الاساس الاول للحضارة والعمران وعليها قوام الحياة البشرية حتى وأن عائلة قابيل بن آدم أبي البشر لما أرادت أن تخطو خطوة الى الامام في التقدم والعمران أرشدها الله سبحانه وتعالى على ما يظهر

الى أن الصنائع والفنون هي السلم الوحيد لذلك فابتدأت بها أولاً وصار لها الفضل الاول في هذا الاختراع بل سجل لها التاريخ أوّلية اختراع الصنائع والفنون في أول العمران كما وافق على ذلك العلماء والمؤرخون الشرقيون والغربيون

فاذا كان الامر كذلك وجب علينا أن نعتقد تماماً بأن للصنائع والفنون شأناً عظيماً وفعلا خطيراً في عالم الحياة الانسانية بل عليها مدار انتظام العمران خصوصاً وقد رأينا الحركة الفكرية القائمة الآن بديارنا المصرية بل النهضة الشريفة التي سيكون لها شأن عظيم في مستقبل الايام . تلك التي تناجينا وتستنهض همتنا آناء الليل وأطراف النهار كي نأخذ بناصرها ونشدّ أزرها لانها الآن بين أيدينا كالطفل الرضيع الذي يحتاج دائماً للعناية الشديدة والمساعدة المادية والادبية الى أن يشبّ على أربعيه فنكون بذلك قد قمنا بما يجب علينا نحو أنفسنا وبلادنا وأصلحنا ما أفسده الدهر في الايام الخالية بل نكون قد أعدنا لبلادنا سيرتها الاولى من مجدها الشامخ وعزّها الاثيل حيث لا يخفاكم أيها الاخوان ما كان لآبائكم الاولين

من القدح المعلى فى التقدم والعمران خصوصاً في الصنائع والفنون كما هو مثبوت تاريخياً وكما يشاهده الخاص والعام في بلادنا وفي المتاحف المصرية والاجنبية من الاعمال العجيبة والآثار الهائلة التي لم يزل بعضها الى الآن موجوداً ببعض البلاد المصرية ينطق لكم بما كان لآبائكم الفراعنة من الباع الطويل والمجد العظيم في كافة الفنون والصنائع البشرية خصوصاً وقد أوجد الله بمصر هذا النادي العظيم أعني به (نادي مدرسة الفنون والصنائع الخديوية) الذي سيكون بمشيئته واسطة كبرى للفلاح المطلوب والنجاح المرغوب بعناية حضرات مؤسسيه وهمة رئيسه المفضال عزتلو حضرة علي بك ثروت الذي له في الحقيقة الفضل الاكبر في احياء هذا النادي الجليل

على أنني أعلل نفسي بأن أقف في هذا النادي هذا الموقف مرة بل مراراً عديدة خدمة للعلم والعمل طالباً من الله أن يمدني بروح من عنده فيقدرني وأمثالي على ركوب هذا المركب الخشن. والى هنا ألتمس من حضراتكم أن تسمحوا لي بالقاء محاضرتي الآن فأقول وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب:

الكتابة على وجه العموم

الكتابة مصدر كتب فهي في اللغة الجمع واصطلاحاً الصور الذاتية والرسوم الرمزية والاشكال الحرفية التي توفق الاوائل لوضعها في بدء نشأتهم للدلالة على ما كان يدور بخلدهم وما كان ينطق به لسانهم من الكلمات المسموعة التي كانت تدل على ماني أنفسهم من الاحساسات والتصورات العقلية والنقلية . بل هي صنعة شريفة تعبر عما استكنّ في القلوب وتظهر ما جاش في الصدور فضلاً عما فيها من تسهيل المعاملات الانسانية بنشر الافكار واذاعة الاخبار وحفظ العلوم والآثار ونقلها من مشارق الارض لمغاربها . ذلك الذي يشير لان الكتابة ميزان العقل والحكمة والادب وعنوان الكمال والفلاح والنجاح وعدة العلماء والمؤلفين بل الخلق أجمعين من أمير لحقير ومن غني لفقير . وعلى العموم فهي من أشرف الصناعات لانها روح المعاملات ورسول الغايات بل مرجع جميع الطبقات . تلك التي كثيراً ما كان لها الفضل الاعظم في حقن الدماء البشرية وحفظ

الحقوق المدنية واغاثة الملهوف والاخذ بناصر الضعيف . علاوة عن أنها في غالب الاحيان تأتي من الاعمال ما يعجز عنه السيف والمال

كل ذلك مما جعل للكتابة شأناً كبيراً في عالم الحياة فاعتبرها العلماء والمؤرخون من ضمن الصنائع واهتموا بها اهتماماً عظيماً قضى عليهم بتمييزها عن كافة الصنائع البشرية حتى عرّفها ابن خلدون بقوله : « والكتابة من بين الصنائع اكثر افادة لانها تشتمل على العلوم والانظار بخلاف الصنائع » . قال ذلك ابن خلدون أما أنا فأزيد عليه بأن الكتابة فضلا عن كونها اكثر فائدة عن باقي الصنائع البشرية فانها ضرورة من ضمن ضروريات الحياة وفي مقدمة ضروريات التمدن الانساني على وجه العموم نظراً لما فيها من الفوائد العديدة والمنافع الكثيرة التي يحتاجها الانسان قبل كل شيء . دليلي على ذلك أن الله سبحانه وتعالى لعلمه بما للكتابة من الاهمية جعلها خصيصة بالانسان دون باقي المخلوقات لان العقل والنطق اللذين قيل بأن الانسان اختص بهما عن غيره من

الكائنات ثبت أخيراً أنهما موجودان في بعض المخلوقات الاخرى كالعنكبوت مثلاً فانه قاسمنا النسيج لدرجة أنه ينسج شباكاً عجز الانسان عن نسجها من عهد الخليقة الى الآن

ثم النملة التي تبني مساكنها بنفسها وتدخر قوتها لوقت الحاجة اليه بدون أن يكون لها مرشد لذلك

ثم النحلة التي تصنع لها مساكن على أشكال هندسية غاية في الضبط والاتقان بدون أن تستعمل واسطة لذلك مع أن الانسان على ما هو عليه من العقل الراجح والقوة الهائلة والحكمة الفائقة لا يمكنه أن يصنع ما تصنعه تلك النحلة الا بالعدد والآلات وما يتبع ذلك من الوسائط الاخرى

ثم القرد الذي قاسمنا أعمالنا اليدوية والجسمية والعقلية في اكثر الاحيان

ثم الببغاء الذي ينطق كما ينطق الانسان . فضلاً عما قيل من أن بعض الانبياء قد استنطق الطير والحيوان خصوصاً سيدنا سليمان بن داوود بدليل ماورد عنه في القرآن الشريف حيث قال : « يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء »

كل ذلك ولو أن بعض العلماء أورى أنه صادر من تلك الحيوانات عن سليقة أي غريزة فيها لا عن عقل من نوع عقل الانسان أو نطق من نوع نطق الانسان الا أن أغلب العلماء الحديثين وهم أصحاب مذهب (النشوء والارتقاء) أثبتوا أيضاً أن هذه الاعمال لا تصدر قطعياً الا من قوة عاقلة من نوع عقل الانسان ولكنه أقل منه في الدرجة

وعلى العموم فمهما كان اختلاف العلماء وتضارب أقوالهم في هذا الموضوع فانه يمكننا أن نستخلص من ذلك أن بعض المخلوقات قاسمنا العقل والنطق أما الكتابة فلم نر للآن ولم نسمع من قديم الزمان ولم نقرأ في كتب الاولين والآخرين أن بعض المخلوقات على اختلاف أنواعه كتب كما يكتب الانسان . ذلك الذي يثبت أن الكتابة خصيصة بالانسان دون باقي المخلوقات أو بالحري يثبت أن لها منزلة عظمى بل شاناً كبيراً في عالم الحياة حتى وأنني قررت من عنديات ما سبق لي تقريره الآن وهو أن الكتابة ضرورة من ضمن ضروريات الحياة وفي مقدمة ضروريات التمدن الانساني على

وجه العموم

وقد سعيت كثيراً وراء معرفة أول من اخترع الكتابة أو لمعرفة أول من استعملها أو لمعرفة الزمن الذي نشأت فيه ولكني رأيت أخيراً أن الوصول لحقيقة ذلك دونه خرط القتاد بالنسبة لما هو موجود في التواريخ القديمة من الخرافات الكثيرة والخلط والخبط واختلاف الافكار والمشارب وتنوع الطرق والمذاهب . ذلك لاننا لو نظرنا نظراً سطحياً للغات البشرية المنتشرة في الكون لوجدنا عددها محصوراً بين ألفين وثلاثة آلاف لغة بوجه التقريب كما حصرها بعض المؤرخين الذين نستنتج من مباحثهم أن تلك اللغات مشتقة في الغالب من بعض لغات أصلية أشهرها : اللغة الاشورية . واللغة الآرية . واللغة المصرية القديمة . واللغة الآرامية . واللغة العبرانية . كما أشار الى ذلك المؤرخ الفرنساوي الشهير فرنسيس لونورمان في كتابه الكبير نقلاً عن علماء اشتقاق اللغات

تلك الخمسة اللغات يمكننا أن نعتبرها أنها اللغات الاساسية

الكبرى التي يدعي أصحاب كل منها أن لغتهم أول لغة تكلم بها أبو البشر أو بالحري أنهم أول من اخترع الكتابة وخط بالقلم والبنان : فمثلاً اللغة الاشورية التي تنسب الى (أشور أو أسور ثاني أولاد سام بن نوح عليه السلام) وتسمى أيضاً اللغة السريانية في اصطلاح علماء المسلمين فيمكننا أن ننسب لاصحابها أولية اختراع الكتابة ارتكاناً على أنها لغة الانسان الاول في بابل التي تبلبلت فيها الالسن البشرية قبل الطوفان فضلاً عن أنه قبل الميلاد بآلاف من السنين كتب بهذه اللغة بعض آثار أهالي مدينتي بابل ونينوى وهما في الغالب أقدم مدن العالم

أما اللغة الآرية التي تنسب الى أولاد (يافث بن نوح عليه السلام) فلانها انتشرت انتشاراً هائلاً في أوائل العمران وتفرعت منها فروع كثيرة ببلاد الهند وماجاورها . ومن فروعها اللغة السنسكريتية التي كتبت بها ديانة البراهميين وكتبهم القديمة في سالف الزمان

أما اللغة المصرية القديمة التي تنسب الى (مصرايم ثاني

أولاد حام بن نوح عليه السلام) وهى اللغة الهيروغليفية المعبر عنها الآن بالقبطية فيمكننا أيضاً أن ننسب لاصحابها أولية اختراع الكتابة لانهم كتبوا كتابات أثرية كثيرة على الصخور والتماثيل والاحجار التي صنعوها بمعرفتهم قبل الميلاد بآلاف من السنين كما هو محفوظ بدار الانتيكخانة المصرية وببعض المتاحف الاجنبية ولم تزل آثارها قائمة الى الآن في بعض البلاد المصرية

أما اللغة الآرامية التي تنسب الى (آرام خامس أولاد سام بن نوح عليه السلام) فلانها لغة البقعة التي نشأ فيها الانسان الاول فضلاً عن أن بعض أسفار التوراة كتب بها قبل الميلاد ولا يخفى ما يقال من أن التوراة أقدم تاريخ كتب في هذا الكون

أما اللغة العبرانية فلان بني اسرائيل والفينيقيين وكافة قبائل الكنعانيين كانوا يكتبون بها وهم في الغالب أول الامم التي تمدنت من عهد الخليقة ولما أن كانت الكتابة ضرورة فوق ضروريات التمدن كما سبق البرهان على ذلك فيمكننا أن ننسب لاحدى تلك الامم أولية اختراع الكتابة

هذه هي اللغات الخمسة التي يمكننا أن نعزي لاصحاب كل منها أولية اختراع الكتابة للاسباب التقريبية التي ذكرناها الا أننا بأزاء المضاربات الكثيرة في هذه المسألة وما داخلها من تشويش الافكار بسبب كثرة ما حصل فيها من القيل والقال نرى أنه لو اجتمع الانس والجن على أن يتفقوا بالضبط على حقيقة تاريخ الكتابة من عهد الخليقة فلا يتفقون على ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً أما كل ما قيل قديماً وحديثاً بل كل ما يقال من الآن فهو في عرفي مبني على الظن والتخمين وأن الذين يكابرون ويدعون غير ذلك بناء على ما أوتوه من سعة علمهم وكثرة اطلاعهم ووفرة استكشافاتهم فهم بالتأكيد مغرورون بأنفسهم مخدوعون بتخيلاتهم الفكرية وتصوراتهم العقلية لانني لا أدري ولا اخال أدري بل لا أريد أن أدري كيفية الوصول لحقيقة تاريخ الكتابة ما دام الانسان الاول وبنوه الاولون لم يتركوا لنا شيئاً لا عن أنفسهم ولا عن هذا الموضوع . ولله درّ بلكراف أحد علماء البحث والتنقيب حيث قال : « ان أخبار الاوائل سواء كانت خرافة أو حقيقة

أو تاريخاً أو آداباً في أوروبا وآسيا وأفريقا وأمريكا في طيبة أو بلنكة أو غيرهما فانها قد ضاعت وانمحت آثارها الى الابد »

على أننا وان كنا نعتقد ذلك الا أنه من مباحث علماء التاريخ والآثار ومما يرشدنا اليه العقل والنظر والقياس يمكننا أن نقرر بطريق الاجتهاد أن الاوائل على وجه العموم كانوا في بدء نشأتهم يستعينون بالذاكرة على حفظ قصصهم وحكاياتهم مهما اختلفت أنواعها حتى وأن الحفظة منهم كانوا يتباهون وينتخرون بما يعونه في صدورهم ويحفظونه على قلوبهم من تلك القصص وهاتيك الحكايات التي كان يطبعها التكرار على صفحات قلوبهم طبعها اليوم على صفحات الكتب والجرائد والمجلات

فالحفظة قبل وضع الكتابة كان لهم الشأن العظيم في الهيئة الاجتماعية خصوصاً بعد ما نظموا الحوادث والوقائع على صورة شعرية لان الشعر أبقى في الذاكرة من النثر. اولئك الحفظة الذين فضلاً عن كونهم كانوا رواة القصص والحكايات فانهم كانوا يجهدون ذاكرتهم أيضاً في حفظ تواريخهم وآدابهم وعلومهم وكافة ما كان يدور بينهم من المعاملات ولكن لما أن

كثرت الحفظة وتعددت الوقائع وازدادت الحوادث واتسعت المعاملات الانسانية في ما بينهم واحتاج بعضهم لبعض اختلط الغث بالسمين والضار بالنافع والخطأ بالصواب فحصل هناك التحريف والاختلاف والزيادة والنقصان شأن ما تتناقله الالسن من مكان لمكان ومن زمان لزمان فالتبس الامر على أولئك القوم الذين جمّ الضرورة أخذوا يتفننون في كيفية المحافظة على ما في صدورهم من تلك القصص والحكايات والتواريخ والعلوم والمعارف خشية أن يغتالها النسيان فتصبح في خبر كان . لذلك ابتدأوا في اختراع الكتابة بتصوير ما يريدون كتابته تصويراً اختلفت الشعوب في كيفيته الا أنهم في الغالب كانوا يصورون ما يريدونه تصويراً ذاتياً بمعنى أنهم كانوا اذا أرادوا كتابة رجل أو حيوان أو شيء مجسم فانهم كانوا يصورونه بالذات فقط حسبما كان يوحيه اليهم فكرهم ويصل اليه علمهم

وقد كانت الكتابات الصورية المعاصرة لبعضها في أوائل العمران على أشكال كثيرة أشهرها الكتابة الهيروغليفية أو القلم

المصرى القديم المنقوش الآن على الاطلال المصرية وهو أرقى كافة الاقلام البشرية القديمة كاقرار جميع العلماء . ثم الكتابة الحثية التى كان يكتبها الحثيون قديماً ببلاد الشام . ثم الكتابة الصينية التي لم تزل مستعملة لوقتنا هذا ببلاد الصين ولو أن أشكالها تغيرت كثيراً الا أنها لم تخل من شبه الرسوم الصورية الى الآن . ثم الكتابة الاشورية وتعرف بالكتابة الاسفينية أو السنانية أو المسمارية لان بعض حروفها كان على شكل السفن والبعض على شكل أسنة الرماح والآخر على شكل المسامير فضلاً عن كتابة بعض الامم الاخرى التي كانت ولم تزل مستعملة الى أمد قريب في بعض جزائر المحيط وأواسط أستراليا وأمريكا وغيرها من البلاد التى لم تزل الجهل مخيماً عليها الى الآن

وقد كانت الكتابة الصورية لبساطتها ضيقة للغاية لانها ما كانت تعبر الا عن أبسط الحوادث نظراً لعدم امكانهم وقتها أن يصوروا المعاني والشعور والاحساسات والتخيلات والحركات والسكنات التى لم يكن لها صور لديهم يستعينون بها على تصويرها فأخذوا يكدون ويجتهدون حتى وضعوا لذلك

رموزاً ساعدتهم على كتابة معظم ما كانوا يريدون كتابته كالمصريين مثلاً الذين كانوا يستخدمون صورة الرجل المسلح للدلالة على العدو وصورة الاسد للدلالة على الشجاعة والحية للدلالة على الاذى فانتقلت الكتابة بهذه الطريقة من الصورة الذاتية للصورة الرمزية

على أنه بمرور الايام واجتهاد الانسان وميله دائماً للتقدم والعمران انتقلت الكتابة من الصورة الرمزية للصورة المقطعية حيث يؤخذ من الكتابة الهيروغليفية المصرية التي هي أرقى كافة الاقلام البشرية القديمة أن صورة الرجل المسلح البادي ذكرها بدلاً عن أن كانت تدل على لفظ (العدوّ) استعملوها لاول مقطع منه وهو (عا أوعد) وكذلك صورة الطير بدلاً عن أن كانت تدل على لفظ (طير) استعملوها لاول مقطع منه وهو (طاأوطى) وهكذا كل الالفاظ كانوا يستعملون لها صوراً أو رموزاً تدل على مقاطعها حتى كثرت الصور والرموز كثرة هائلة خشوا من ورائها الخلط والتشويش في كتابتهم فضلاً عما

كانت عليه هذه الطريقة من الصعوبة الزائدة فأخذوا يختصرون الصور وما شاكلها من الرموز الدالة على مسمياتها كالرجل المسلح مثلاً فانهم كانوا بدلاً عن أن يرسموا رأسه وجسمه وكافة مشتملاته بشكل مسلح رسموه بالاختصار الزائد والسرعة الممكنة دلالة على أول مقطع من الاسم الذي وضعوه لاجله

وقد كان هذا الاختصار سبباً قوياً لتنويع الكتابة المصرية القديمة تنويعاً كبيراً تولد منه كتابة أخرى سموها الكتابة الهيراتية ثم الديموطيقية التي كانت واسطة كبرى لوضع الكتابة الحرفية أعني الهجائية ولكن المصريين لم يتوفقوا لذلك لان الله سبحانه وتعالى قضى بظهور الكتابة الهجائية على أيدي أناس آخرين خلافهم وهم الفينيقيون

على أن هذا التعبير والامثلة التي ضربناها هنا على الكتابة المصرية لم تكن خصيصة بها بل يمكن تطبيقها على كافة الكتابات الصورية وغيرها من الكتابات الاخرى الخاصة بعموم أوائل البشر وفقط نحن لم نطبق نظريتنا هذه على الكتابة المصرية الا لانها معلومة لنا وسهلة الفهم لدينا خصوصاً وأنها فضلاً

عن كونها أرقى كافة الاقلام الصورية القديمة فقد قيل بأنها أمّ الكتابة الحرفية أعني الهجائية وضعها الفينيقيون في بادىء الامر وأخذها عنهم قديماً كافة الخلق أجمعين

ولو أن العلماء والمؤرخين قد اختلفوا في تعيين أول أمة اخترعت الحروف الهجائية وفي كيفية اختراعها نظراً لما أتاه كل منهم من البراهين المعزوّة لبعض الحوادث التاريخية والكتابات الاثرية والتصورات النقلية والعقلية ولكن يظهر أن أقربها للحقيقة هو أن الفينيقيين كانوا أمة قديمة معاصرة للكلدانيين في اور . والبابليين في بابل . والاشوريين في أشور . والمصريين في وادي النيل . والحميريين في اليمن . واليونانيين في جزائر اليونان . وغير هؤلاء من الامم الاخرى التي كان لها نصيب في التمدن القديم أيام هؤلاء الفينيقيين الذين كانوا يسكنون سواحل سوريا أعني شواطيء البحر الابيض المتوسط قبل الميلاد بألفي سنة وكسور تقريباً . ولما أن كانوا مغرمين بالملاحة والتجوال في البلاد والامصار رغبة في الاتجار والاستعمار كانوا دائماً يرودون كافة البلدان والامصار والاقطار خصوصاً الجهات

الكائنة على شواطئ البحار ومن ضمنها البلاد المصرية فاضطروا في معاملة المصريين وغيرهم لاستخدام كتابة سهلة بأن أخذوا بعض صور الكتابة الهيراتية الناتجة من الكتابة الهيروغليفية المصرية كما سبق البيان وذلك نظراً لسهولتها عن غيرها ثم تصرفوا في رسمها ووضعها لتكون اكثر سهولة في الاستعمال فاجتمع لديهم على توالي الايام (٢٢) شكلاً استخدموا كلاً منها لمقطع أو حرف من حروف لغتهم وسموه باسم يدل على شكله فتكوّنت لديهم حروف الهجاء أعني الابجدية الفينيقية وكان ذلك قبل الميلاد باكثر من خمسة عشر قرناً

وقد قيل بأن الفينيقيين علموا هذه الطريقة لليونانيين بواسطة قدموس ابن أجنور ملك الفينيقيين في القرن السادس عشر قبل الميلاد وعرفت وقتها بالخط اليوناني ثم علموها للاشوريين وعرفت بالخط الآرامي . ومن الخط الاول تولدت كافة الخطوط الافرنكية الموجودة الآن ببلاد أوروبا وأمريكا ومعظم مستعمراتها . ومن الخط الثاني تولدت كافة الخطوط الشرقية المنتشرة ببلاد آسيا وأفريقيا التي من ضمنها

الكتابة السطرنجيلية التي تولد منها الخط العربي الكوفي . ثم منها أيضاً الكتابة النبطية التي تولد منها الخط العربي النسخي . ولم يزل الخط العربي الكوفي والخط العربي النسخي مستعملين الى الآن ويطلق عليهما الكتابة العربية ولكن الثاني هو الاكثر شيوعاً لان الاول كاد يصبح في زوايا الاهمال . وعلى وجه العموم فالمباحث الحديثة غالبا تشير لان الفينيقيين هم الذين يعزى اليهم وضع الكتابة الهجائية وهي الكتابة الحرفية السائدة الآن بين الناس أجمعين

على أن الكتابة على وجه العموم لما استعملها الاوائل في بدء نشأتهم اتخذت وقتها كل أمة من الامم طريقاً مخصوصاً في كيفية سير الكتابة : فأهل الصين وأتباعهم صاروا يكتبون من أعلا القرطاس لأسفله مبتدئين من اليمين الى اليسار ولهم في ذلك اعتقاد خاص حيث يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى موجود في السماء العليا فكل شيء لابدّ وأن يأتيهم من جهته ولذلك صاروا يكتبون من أعلا لاسفل

وأهل أوروبا صاروا يكتبون من اليسار الى اليمين

بالنسبة لكون الدورة الدموية تبتدىء من القلب الموجود في الجهة اليسرى والقلب في بعض الروايات مركز العقل فوجب أن تكون الكتابة من الجهة المقابلة للعقل الذي يستمدّ منه البنان فلذلك صاروا يكتبون من اليسار الى اليمين

أما السريانيون والعرب والفرس فصاروا يكتبون من اليمين الى اليسار بالنسبة لكون الطبيعة قضت بأن كل شيء لا يعمله الانسان الا بيده اليمنى كما وأنه لا ينتقل من جهة لاخرى الا بالرجل اليمنى فلذلك صاروا يكتبون من اليمين الى اليسار

على هذا الترتيب أخذ كل قوم طريقة مخصوصة في كيفية سير الكتابة وصاروا يكثرون من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان حتى باحتكاك الافكار ومرور الزمان وانتشار العلوم والمعارف تدرّجوا من أردأ لردىء ومن ردىء لحسن ومن حسن لأحسن كل أمة بحسب ما أوتيت من سعة العقل وكثرة التجارب وزيادة العمران فوصلت الكتابة لحضارتها الحالية وهم لا يشعرون

الكتابة العربية

ولما أن كانت اللغة العربية من أسمى اللغات البشرية لفظاً ومعنىً فانها أيضاً من ضمن اللغات الحية الكثيرة الانتشار بين النوع الانساني بدليل أنه من مباحث فطاحل مؤرخي الغرب والشرق نعلم أن المتكلمين باللغة العربية في هذا العالم يربون على مائة مليون تقريباً ولما أن كان سكان الكرة الارضية يبلغون الفاً ومائتي مليون تقريباً كان بين كل ثلاثة عشر نفراً نفر واحد يتكلم باللغة العربية التي امتازت بحرف من حروف الهجاء لم يكن له نظير في كافة اللغات البشرية ألا وهو حرف الضاد ولذلك اشتهر المتكلمون بالعربية أنهم (الناطقون بالضاد). هؤلاء هم الذين يهتمون اهتماماً زائداً بتاريخ الكتابة العربية خصوصاً معظم البلاد الشرقية التي تزيد عن الاربعين مملكة وولاية وجزيرة فان أممها تكتب لغتها بالكتابة العربية فضلاً عن أن اللغة العربية هي الآن لغتنا نحن المصريين فيتحتم علينا وعلى أولئك أن نقف جميعاً بقدر الامكان على شيء

من تاريخ كتابتها ولو أنه ليس من المحقق الا أننا نذكره هنا من قبيل العلم بالشيء أو من قبيل التفكهة التاريخية التي يسعى لها الانسان طبيعياً حيث قيل بأن أول من وضع الكتابة على وجه العموم هو آدم أبو البشر وكان من ضمنها الكتابة العربية كما يعتقد ذلك كافة اللاهوتيين ثم استعملها من بعده حنوخ (١) كما ورد بالعقد الفريد . ثم قيل بأن الذي وضع الكتابة العربية هو كاتب وحي النبي هود عليه السلام والبعض قال بأنه اسماعيل ابن ابراهيم الخليل الذي كانت كتابته بحروف متصلة ببعضها حتى الالف والراء ثم فصلها عن بعضها ثلاثة من أولاده قيل بأنهم: نبت وهميسع وقيذار . وتنسب أيضاً الكتابة لاربعة من

(١) حنوخ هو ابن يارد بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام . وكان حنوخ هذا يسمى عند الكلدانيين وغيرهم من الامم القديمة باسم هرمس وعند المصريين باسم توت وعند العبرانيين باسم أخنوخ الذي ورد عنه بتاريخ (أبو الفدا اسماعيل) أنه هو ادريس عليه السلام المعلوم عند المسلمين بأن الله اختاره نبياً واكرم مثواه بأن رفعه الى السماء

أولاد اسماعيل بن ابراهيم الخليل كما يؤخذ من العقد الفريد ولكن الارجح أن ذلك ينسب لاحدهم المسمى نبايوط أو لمن انتسبوا اليه تحت اسم الانباط الذين ينسب اليهم الخط النبطي الذى تولد منه الخط النسخي العربي كما سيأتي الكلام. وقيل أيضاً بأن الكتابة العربية عرفت في عهد أيوب الصدّيق وهو ابن عيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل كما ورد بالعقد الفريد

على أنه من الخطط المقريزية والقاموس ومقدمة ابن خلدون وبعض الكتب التاريخية نعلم أن ستة من ملوك مدين ببلاد العرب هم الذين وضعوا الكتابة العربية بحسب حروف أسمائهم التى هى : أبجد . هوز . حطى . كلمن . سعفص . قرشت — ثم لوجود بعض حروف أخرى غير هذه في الالفاظ العربية ألحقوها بأسمائهم وسموها الروادف وجمعوها في قولهم ثخذ . ضظغ . وقد ورد بالعقد الفريد زيادة على ذلك ما يفيد أن هؤلاء كانوا من قبيلتى طسم وجديس البائدتين

أما بعض التواريخ القديمة الاخرى فيؤخذ من أقوالها

أن السريانيين هم الذين وضعوا الستة الكلمات الاولى أعني من أبجد الى قرشت وهي الجامعة لحروف الهجاء عندهم بدون تقديم ولا تأخير وأنهم لم يضعوا تلك الكلمات الا لسهولة حفظها وتمرين الصغار عليها . فلما شرع العرب في وضع كتابتهم استحسنوا تلك الكلمات فأخذوها عن السريانيين مع أن ترتيب حروف الهجاء عندهم مخالف بالمرة لترتيب الحروف العربية فضلاً عن أنها غير مساوية في العدد لان حروف الهجاء العربية فيها زيادات عن الحروف السريانية فجمعها العرب في قولهم (ثخذ . ضظغ) وسموها الروادف ثم صاروا يعلمون أولادهم حفظ هذه الكلمات لاسباب كثيرة أهمها في الغالب سهولة حفظها عند التعليم خصوصاً عند الاولاد الصغيرة الذين صاروا يأتنسون بهذه الكلمات بعدما جعلوا لها معاني معلومة حتى اذا املوها فان معانيها تثبتها في ذاكرتهم واليك بيان معانيها : أبجد بمعنى خذ . وهوز بمعنى ركب . وحطي بمعنى وقف . وكلمن بمعنى صار متكلماً . وسعفص بمعنى أسرع في التعلم . وقرشت بمعنى أخذه بالقلب . وثخذ بمعنى حفظ . وضظغ بمعنى تمّ .

ذلك الذي يؤخذ من أقوال بعض جهابذة المؤرخين القدماء وهو في الغالب أقرب للصواب من كافة ماقيل قديماً في هذا الموضوع لانه من الاستكشافات الحديثة ومن مقارنة كتابة الامم القديمة ببعضها يعلم أن الكتابة السريانية مأخوذة من الآرامية التي تولد منها نوعان آخران خلاف السريانية أحدهما السطرنجيلي والآخر النبطي ومن هذين النوعين تولدت الكتابة العربية فنتج من الاول الكتابة الكوفية ومن الثاني الكتابة النسخية المنتشرة الآن .ذلك الذي اذا اعتقدنا صحته فضروري من أن نعتقد بأن السريانية هي أخت السطرنجيلية والنبطية ولا يخفى ما في ذلك من العلاقة الكبرى والقرابة المتناهية التي لا تمنعنا من الموافقة على ما يعتقده المؤرخون القدماء خصوصاً المسلمون من أن الكتابة العربية مأخوذة من السريانية أيضاً كما يعتقد المؤرخون الحديثون بأنها مأخوذة من أختيها السطرنجيلية والنبطية

وعلى العموم فان العرب لما استعملوا الكتابة كانوا يكتبون بحروف متصلة ببعضها تختلف باختلاف موقعها فكان

ذلك سبباً لاحتياجهم لفصل كل كلمة عن الاخرى

وكان أول من استعمل هذه الطريقة هم أهل اليمن الحميريون الذين سموها بالمسند لاشتمالها على علامات تفصل الكلمات عن بعضها. ويظهر أنهم نسبوا الكتابة اليهم كما يؤخذ من قول أحد شعرائهم :

عرفت الديار كرقم الدوىّ * يزبره الكاتب الحميرىّ

والحميريون هم قوم عاد أو قوم هود عليه السلام الذين كانوا يمنعون تعليم الكتابة للعامة الا بعد حصولهم على تصريح بالتعليم حتى أيام دولة التبابعة باليمن تقدمت الكتابة العربية تقدماً محسوساً ثم انتقلت الى الحيرة مذ كانت بهادولة آل المنذر نسباء التبابعة في العصبية والمجددين لملك العرب بأرض العراق . ولكن الكتابة على رأى ابن خلدون ما كانت في الحيرة على شيء من الاجادة كما كانت فى اليمن

وقيل بأن أول من نقل الكتابة العربية من اليمن للحيرة هو سفيان ابن أمية ويقال بأنه حرب بن أمية الذي أخذها عن أسلم بن سدرة كما ورد فى مقدمة ابن خلدون

ولكن مما ورد بالقاموس ومن رواية الكلبي يؤخذ أن الكتابة انتقلت من اليمن للحيرة بواسطة مرامر بن مرّة وعامر ابن جدرة وأسلم بن سدرة ولكن الاخير سئل عمن أخذ عنه الكتابة فأورى بأنه أخذها عن مرامر بن مرة كما رواه بن خلكان وورد بالعقد الفريد وفى الغالب أن ذلك هو الاصح

أما المضريون فتعلموا الكتابة العربية من الحميريين كما رواه بن خلدون

أما القرشيون وأهل الطائف فتعلموها من الحيرة عن أهل الانبار كما رواه السيوطي وابن خلدون

الكتابة العربية

(وقت الاسلام وبعده)

هكذا كانت الكتابة العربية حتى ظهرت دولة الاسلام ببلاد الحجاز ولم يكن بها أحد يكتب وقتها بالعربية بوجه التقريب غير أربعة عشر شخصاً حفظ التاريخ أسماءهم للآن واكثرهم من الصحابة وهم : علي بن أبي طالب . وعمر بن الخطاب . وطلحة بن عبيد الله . وعثمان وابان ابنا سعيد بن خالد بن حذيفة بن عتبة ويزيد بن أبي سفيان . وحاطب بن عمرو بن عبد شمس . والعلاء بن الحضرمي . وأبو سلمة بن عبد الاشهل . وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح . وحويطب بن عبد العزي . وأبو سفيان بن حرب . ومعاوية ولده . وجهيم بن الصلت ابن مخرمة

هؤلاء هم الذين كانوا يكتبون بالكتابة العربية وقت ظهور الدولة الاسلامية ببلاد الحجاز على المشهور كما اتفق على ذلك معظم المؤرخين ولو أن كتابتهم كانت وقتها رديئة

للغاية من كافة الوجوه ولكنها كانت حسنة بنسبة ما كانت عليه تلك البلاد من البداوة والتأخير في التمدن والعمران الا أن الدولة الاسلامية لما أن افتتحت البلاد وامتلكت الممالك والعبادواتسعت أرجاؤها من مشارق الارض لمغاربها أخذ أمراؤها وعلماؤها في نشر الكتابة العربية فانتشرت انتشاراً هائلاً وتقدمت تقدماً باهراً خصوصاً بعد أن وضعوا لها القواعد الثابتة والقيود المحكمة والموازين المضبوطة التي كانت سبباً قوياً لوصول الكتابة الى ما وصلت اليه الآن من جمال الخط وكمال الوضع وحسن التركيب . ذلك الذي كان الفضل فيه منسوباً لعلماء الكوفة الذين هم أول من أدخلوا في الكتابة تحسيناً كبيراً حتى سميت الكتابة من وقتها بالكتابة الكوفية . ثم من بعد علماء الكوفة ينسب الفضل أيضاً لعلماء البصرة . وقد كانت الكتابة أيام الكوفيين والبصريين تكتب بأقلام مختلفة على أشكال كثيرة بلغت العشرين ولكنها لم تكن من الاجادة على ما يرام حتى نبغ ابن مقلة الذي كان وزيراً للمقتدر بالله أحد خلفاء الدولة

العباسية فانه بمهارته حول الكتابة من صورتها الكوفية للصورة الحالية الجميلة فأحرز الفضل الكبير كما شهد له بذلك معظم المؤرخين ولو أن البعض فند ذلك اعتماداً على ظهور بعض خطوط عربية جميلة قبل أن يشتهر ابن مقلة المذكور ولكن المشاع من وقتها أنه هو السبب في ذلك الانقلاب الكبير. وقد نحى نحوه أبو الحسن علي بن هلال البغدادي المشهور بابن البواب ثم كان الفضل من بعد هؤلاء لغيرهم من العلماء والمجتهدين الذين غيروا وطوروا وحسنوا حتى وصلت الكتابة العربية الى ما وصلت اليه الآن من التحسين الزائد والارتقاء العظيم

الكتابة وادواتها

ذلك ما أوضحناه عن الكتابة من حيث هي كتابة فقط أما أدواتها فهي القلم والحبر والكاغد . تلك التي في الغالب تقلبت على ثلاثة أدوار نذكرها كالآتي :

ففي الدور الاول أعني أيام كانت الكتابة صورية ذاتية ثم صورية رمزية كان القلم المستعمل للكتابة هو المسمار والمنقار (أعني الازميل) التي كانوا وقتها يكتبون بها على الصخور والتماثيل بدلاً عن الكاغد المستعمل الآن

وفي الدور الثاني أعني أيام كانت الكتابة المقطعية استعاضوا المنقار والمسمار بالقصب وريش بعض الطيور التي كانوا يكتبون بها على الرقوق والمهارق وعظام الحيوانات وصحائف الخشب والنحاس والرصاص وأوراق الاشجار خصوصاً ورق البردي بدلاً عن الصخور والتماثيل .وفي هذا الدور والدور الذي يليه كانوا يستعملون للكتابة مادة سائلة

اختلف تركيبها ولونها باختلاف الزمان والمكان والمشارب والافكار وهي التي اصطلحوا على تسميتها بالمداد المشهور بالحبر في هذه الايام

وفي الدور الثالث أعني من عهد أن تواجدت الكتابة الحرفية المستعملة الى الآن استعاضوا القصب وريش بعض الطيور بأقلام من نوع جيد من الغاب ومن المعادن كالحديد والفضة والذهب . تلك التي كانوا ولم نزل نحن حتى الآن نكتب بها على الكاغد بدلاً عن الرقوق وعظام الحيوانات وصحائف الخشب والنحاس والرصاص وأوراق الاشجار التي من ضمنها ورق البردي

الكتابة والكاغد

أما الكاغد فمعناه الورق المستعمل للكتابة الآن ولم يظهر الا حوالى القرن السادس للميلاد ببلاد الصين ثم في أواسط القرن الثامن ظهر الورق في سمرقند التي هي احدى بلاد تركستان ومنها ظهر ببلاد فارس ثم ببلاد العرب بناء على اشارة الفضل بن يحيي كما ورد بمقدمة ابن خلدون . والمعامل الاولى التي أنشئت لاجل الورق ببلاد العرب كانت في بغداد عاصمة الدولة الاسلامية سنة ٧٩٥ ميلادية أيام سطوتها ومجدها الشامخ وعزها العظيم . ويقال على وجه العموم بأن الحجاج هو أول من كتب على الورق من العرب

وكان العرب وقت ظهور الورق ببلادهم يستعملون (المهرَق) وهو لفظ فارسي جمعه مهارق معناه خرقة كانوا يطلونها ويصقلونها جيداً ويكتبون عليها ما يريدون . أما المصريون ففي الوقت نفسه كانوا يستعملون صحائف الرصاص

والنحاس وألواح الخشب بعد طلائها بالشمع خصوصاً ورق البردي. ثم في القرن الحادي عشر أخذ الاوروباويون صناعة الورق عن العرب الذين هم أيضاً أوصلوها للبلاد الكائنة شمالي قارة أفريقا ثم بعد ذلك انتشرت في معظم أنحاء المعمورة بانتشار الديانة الاسلامية ولم يزل التاريخ يحفظ الفضل الاول للمسلمين في انتشار صناعة الورق بين الناس أجمعين

والورق في بدء أمره كان يستخرج من القطن ثم تنوعت الامم في ذلك حتى استخرجه الاميركانيون من أنواع كثيرة من الاعشاب البرية والبحرية التي تتجاوز المائة نوع أما الاوروباويون فكانوا ولم يزالوا يستخرجونه من بعض تلك الانواع وبالاكثر يصنعونه الآن من الخرق القديمة

الكتابة المطبعية

ذلك ماذكرناه عن الكتابة اليدوية التي تكتبها الانامل والاقلام ولو أنها كانت سبباً لانتقال الاوائل من حال الى حال الا أنها كانت بطيئة للغاية حتى ازدحم النوع الانساني وكثرت المعاملات الزراعية والتجارية والصناعية وبالاخص لما تعددت العشائر والامم والقبائل والدول واحتاجوا لتدوين أخبارهم وتواريخهم وعلومهم ومعارفهم التي كانوا يعانون المشقات العائدة في كتابتها ونشرها في ما بينهم حتى وأنه ما كان ينتفع بها الا الاغنياء وأصحاب النفوذ فضلاً عن أنها ما كانت تجاوز بعض المئات وفي كثير من الاحيان ما كان يوجد من احدى المؤلفات الانسخة واحدة عند أحد الامراء أو الملوك . ذلك نظراً لما في الكتابة اليدوية من الصعوبة الزائدة خصوصاً رداءة الخط التي كانت في اكثر الاحيان سبباً لتحريف الكلم عن موضعه علاوة عما كانت

تحتاجه تلك الكتابة من الوقت الطويل والنفقات الباهظة والعمال الكثيرين

على أن عقلاءهم ما فتئوا يكدون ويجتهدون سعياً وراء ما يخفف عن العالم الانساني هذا الامر الذي كان لهم الشغل الشاغل في كل زمان ومكان حتى ألهمهم الله فاخترعوا الكتابة المطبعية التي أصبح لها الفضل العظيم في سرعة نشر العلوم والمعارف وبثّ الفضائل ومكارم الاخلاق بين الناس أجمعين . فضلاً عن أنه بالطباعة يأمن الانسان على العلوم والمعارف من حوادث الزمان وتقلبات الليل والنهار كالحريق والغرق والحرب والسلب والنهب ونحوها مما أصاب مكاتب الاسكندرية والقسطنطينية وفارس وغيرها من المكاتب التي ضاع بضياعها كثير من العلوم والمعارف والاختراعات والاكتشافات

وقد قيل بأن أول طباعة ظهرت في الكون كانت في مملكة الصين اخترعها أحد وزرائها المدعو (فونغ تاون) وهي عبارة عن مطبعة خشبية لم تزل مستعملة ببلادهم لهذا

الوقت . تلك التي يطبع الانسان عليها كما يطبع على المطبعة الحجرية المستعملة ببلادنا الآن

على أن بعض المؤرخين ولو أنهم يقولون بأن الطباعة قديمة العهد ببلاد أوروبا ويستصعبون التحقق من معرفة تاريخ وجودها بالضبط ولكن يظهر أنها كانت موجودة عند الرومانيين في القرن الثاني قبل الميلاد كما يؤخذ من رواية جريدة لسان العرب حيث قالت : « اكتشف بعض علماء الآثار المفكارين في بلدة كانت مستعمرة للرومانيين في بلاده على أوراق مطبوعة تدل على أن الطباعة بالحروف المفرّقة كانت مستعملة عند الرومانيين في القرن الثاني قبل المسيح وقد عرض اكتشافه على اثنين من العلماء فوافقا عليه »

وقد انتشرت الطباعة بأوروبا قبل القرن الثالث عشر للميلاد وصارت مستعملة بها حتى ظهرت الحروف المطبعية وهي الحروف المستعملة الآن التي اختلف المؤرخون في معرفة مخترعها ولكن في الغالب ينسب اختراعها الى أحد أهالي مدينة مينز باقليم استراسبورج بالمانيا اسمه (حنا

غوتمبرج) الذي اتحد مع آخرين كان في مقدمتهم (حنا فوست) أحد أغنياء مدينة مينز المذكورة ثم أنشأوا مطبعة في أواسط القرن الخامس عشر للميلاد. تلك المطبعة التي صارت أول مطبعة حرفية ظهرت في عالم الوجود فأخذوا يطبعون عليها الكتب والمؤلفات خصوصاً الكتب الدينية ولكن للجهل الفادح الذي كان مخيماً على العامة في ذلك الوقت قابلوهم بأنواع الاهانة وضروب الازدراء شأنهم في كل جديد مهما كانت منافعه وفوائده. ومن الغريب أنه تسلط على أذهانهم وقتها بأن الطباعة من الاعمال الشيطانية حتى قالوا عن مخترعها: انه ساحر عظيم

والغالب أن اللاهوتيين هم السبب في كل ذلك لانهم كانوا وقتها خصيصين بكتابة الكتب الدينية وغيرها. تلك التي كانوا يبتزون من الامة بواسطتها أموالاً طائلة فلما ظهرت الطباعة رأوا أنها ستكون سبباً لكساد بضاعتهم وبوار صناعتهم فحقدوا عليها وعلى القائمين بها وكان من أمرهم ما كان مما أزالته الايام بتغلب العلم على الاوهام

(خنا غوتنبرج وخنا فوست يطبعان الطبعة الاولى من التوراة)

وقد كان أول كتاب طبع على تلك المطبعة هو التوراة الذي كان باللغة اللاتينية فهو اذاً أول كتاب في العالم طبع على المطبعة الحرفية . ومن وقت ذلك أخذت صناعة الطباعة

تحسن وتزداد فانتقلت من المانيا الى ايطاليا ثم الى فرنسا في خلال سنة ١٥١٥ ميلادية أيام الملك فرنسيس الاول خليفة لويس الثاني عشر الذي بعد أن نقل الطباعة لبلاده اعتنى بها كثيراً بأن أسس خزانة الكتب الملكية واكرم العلماء وقربهم اليه وسهل لهم كل أمر عسير . أولئك الذين لما أن وجدوا أمامهم مجالاً واسعاً اكثروا من التأليف والتصنيف وأفادوا الانسانية فائدة كبرى

ثم دخلت الطباعة بالبلاد الروسية في بحر سنة ١٥٣٤ ميلادية بواسطة وسمي (ايوان الرابع)

ثم دخلت فى البلاد التركية سنة ١٥٥١ ميلادية بدليل أن التوراة العربية طبعت طبعتها الأولى في الاستانة سنة ١٥٥١ م وهي ترجمة سعيد الفيومي المشهورة ولكن يظهر بأن المطبعة بعد هذه الطبعة انمحت من عالم الوجود الى أن أعيدت الطباعة بالاستانة رسمياً فى سنة ١٧١٧ ميلادية

ثم ظهرت الطباعة في سوريا سنة ١٥٨٥ م ثم ببلاد الانكليز سنة ١٥٨٨ م ثم بالبلاد المصرية سنة ١٧٩٨م بواسطة

اللجنة العلمية التي حضرت لمصر مع نابوليون بونابارت الفرنساوي ولكن بعد خروجه من البلاد المصرية أهمل أمرها حتى أيام محمد علي باشا الكبير جدّ العائلة الخديوية الحالية فانه أنشأ المطبعة الاهلية الكبرى ببولاق سنة ١٨٢٣ م ثم في أثناء ذلك انتشرت الطباعة بالديار المصرية وببلاد الحجاز والبلاد المغربية وعلى العموم انتشرت بكافة الممالك والامصار

وقد كانت الطباعة في ابان نشأتها على الخشب وتعمل بالايدي ولو أنها ما كانت بذات السرعة المطلوبة الا أنها كانت أسهل وأنجز بل أسرع بكثير من الكتابة اليدوية في ذلك الوقت ولكن لما أن كان الانسان أميل بطبيعته لتحسين حاله وتسهيل ما لديه من الاعمال قيض الله لهذه الصناعة (نيكولسون الانكليزي) فاخترع آلة الطباعة الميكانيكية سنة ١٧٩٠ م فكان لها تأثير عظيم في عالم الكتابة خصوصاً بعد ما أديرت بالبخار

على أنه في خلال ذلك وبعده انتشرت الطباعة بعموم بلاد أوروبا وببعض بلاد آسيا وأفريقا وأميركا وأستراليا

فأوجدت سهولة كبرى في عالم الكتابة حتى بعد أن كان الانسان يتعذر عليه الحصول على بعض الكتب قبل الطباعة أصبح بعدها الى الآن وبين يديه الالوف المؤلفة من أيّ كتاب لان كثرة المطابع في الحقيقة شجعت الادباء والمؤلفين فألفوا وصنفوا شيئاً كثيراً فانتشرت العلوم والمعارف والآداب والاخبار انتشاراً سريعاً في كافة أنحاء المعمورة ولم تزل الى الآن لها الفضل الاكبر في العالم الانساني. ذلك الفضل الذي اعترف به الصغير والكبير. ولله درّ من خاطب الحروف المطبعية بقوله:

شعر

ياحروفاً من معدن مسبوك
أنت نور لنا ونار أبيك
أنت سيف من الزكاء صقيل
بالسيف من الزكا مسبوك
ياحروفاً لولاك ما انتشر ال
علم علينا ودال عصر الشكوك

ياحروفاً لولاك ما كان لا
حرّ سياج لعرضه المهتوك
ياحروفاً لولاك كنا عبيداً
تحت نير من الهوان نهوك
عاهدتك الطروس حباً وأدنت
لك خدّاً فقبل الخدّ فوك
كم طباع رديئة أبدلوها
بجميل الطباع مذ طبعوك
كم حفظت الآثار عصراً فعصراً
وحملت الاخبار ما حملوك
أنت بين الورى رسول أمين
تخبرّينا بالحروف ما لقنوك
أنت نور للعالمين مضيء
كان أولى بالقول لو عبدوك

الكتّاب

نحن الآن قد ذكرنا ما ذكرناه عن تاريخ صناعة الكتابة ومتعلقاتها الا أنه نظراً للعلاقة الكبرى والقرابة المتناهية بينها وبين الكتّاب الذين يكتبونها بالانامل والاقلام يلزمنا أن نوضح شيئاً عنهم لنذكرهم بدرجتهم العالية في الهيئة الاجتماعية كي يبذلوا في سبيل المحافظة عليها كل ما لديهم من النفس والنفيس، وكذلك لكي تتحقق الناس أجمعين من مركزهم العالي ومنزلتهم الهائلة في هذه الحياة الدنيا فيقدرونهم قدرهم ولا يبخسونهم أشياءهم في أيّ زمان ومكان

هؤلاء الكتّاب هم عبارة عن الاشخاص الذين يكتبون بأناملهم وأقلامهم ما ينطق به لسانهم وما يدور بخلدهم من التخيلات والتصورات والافكار العقلية والنقلية . أولئك هم الذين كانت وستكون أهميتهم في هذه الحياة على قدر أهمية الكتابة بمعنى أن الكتابة ما دامت أفيد الصنائع البشرية وضرورة فوق ضروريات التمدن الانساني كما سبق البرهان

على ذلك فالكتّاب على وجه العموم يلزم أن يكونوا فوق الهيئة الاجتماعية درجةً ومقاماً أو كما قال بعض الادباء : هم بالنسبة للافراد كالرأس للجسم أو بالنسبة للهيئة الاجتماعية كالمصابيح التي نستضيء بها

على أن تعبيري هذا لم يكن خصيصاً بفئة الكتّاب الموجودين في خدمة الحكومات أو في الدوائر العمومية والخصوصية بل هو تعبير عام يشمل كافة الاشخاص الذين يعرفون الكتابة بصرف النظر عن مهنتهم سواء كانت ادارية أو فنية أو علمية أو أدبية أو زراعية أو صناعية أو تجارية أو حربية أو غير ذلك من الحرف الاخرى لانهم قبل أن يكونوا كذلك يكونون كتّاباً بالمعنى المراد

أولئك الكتّاب الذين هم في كل زمان ومكان أرقى كافة الامم من عهد الخليقة للآن حتى وأن منهم من كانوا ولم يزالوا الواسطة الكبرى للتمدن الانساني . ومنهم من هم أصحاب الحركة الخطيرة في العالم والكلمة النافذة في الهيئة الاجتماعية. ومنهم من هم حملة الاقلام وقادة الافكار . ومنهم من هم

خزائن الآداب وكنز العلوم والمعارف فضلاً عن أنهم هم الواسطة الكبرى لتسهيل المعاملات الانسانية وقد قيل بأنه لولا الواسطة لذهب الموسوط

نعم لو لم تكن الكتّاب على وجه العموم واسطة لتلك المعاملات للبث النوع الانسانى طول حياته غريقاً فى بحار الجهل والذل والهوان بل صارت الشكوك والترهات والاباطيل تخبطه تخبط الثمل الذى لا يدري قيمة الحياة

بل لولا الكتّاب ماحفظت لنا الايام تواريخ أوائل البشر من قصصهم وحكاياتهم وآدابهم وعلومهم ومعارفهم التي أفادت النوع الانسانى من عهد الخليقة الى الآن

ولولاهم ما كنا رأينا شيئاً من ذلك مكتوباً بباطن الجبال وعلى الصخور والاحجار والتماثيل وصحائف الرصاص والنحاس وألواح الخشب وأوراق الاشجار وعظام الحيوانات وغير ذلك من الآثار التي تركوها مكتوبة من بعدهم ولم تزل، موجودة الى الآن

ولولاهم ما استنطقنا هذه الصخور ولا استوضحنا تلك

الاحجار ولا استفتينا هاتيك التماثيل وما شاكلها مما هو مشحون بالآثار النافعة والاعمال الجليلة

ولولاهم ما نبشنا القبور والجبال ولا استكشفنا الكهوف والمغارات ولا حافظنا على المعابد والهياكل الى الآن

ولولاهم ما انتشرت الفضيلة والعدالة وما قلت الرذيلة والمظالم وما اتقينا الله في ما لدينا من الاعمال الدينية والدنيوية

ولولاهم ما ارتقت الصناعة وما تقدمت الزراعة وما انتشرت التجارة وما سهلت المعاملات بين الناس أجمعين

ولولاهم ما عرفنا نسوس أمورنا الداخلية والخارجية وما علمنا شيئاً عن أحد حتى عن الاهل والاقربين الا ببذل النفس والنفيس

ولولاهم ما كان مثلي يتخطى جواد القلم فيصول به ويجول في ميدان هذا الموضوع أمامكم الآن أيها السادة

كل ذلك قد ذكرته الآن بوجه الاختصار ولو أنه لم يكن شيئاً مذكوراً في جانب ما هنالك من فوائد الكتّاب ومنافعهم الكثيرة التي عادت في سالف الزمان وستعود على

الهيئة الاجتماعية في مستقبل الايام بالخير والفلاح والنجاح الا أنني قد اكتفيت بما ذكرت تاركاً الباقي لفطنة اللبيب غير أني أستنهض الهمم (خصوصاً طائفة الكتّاب الموجودين بخدمة الحكومات) كي يطلعوا على تلك الرسالة البليغة التي وضعها أكتب الكتّاب وأبلغ المحررين المدعو عبد الحميد الكاتب (١) فانه وجه تلك الرسالة لكافة الكتّاب تبياناً لفضلهم وتعييناً لشروطهم التي يلزمهم أن يكونوا عليها حيث قال رحمه الله :

أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فان الله عزّ وجلّ جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرمين أصنافاً وان كانوا في الحقيقة سواء وصرفهم في

---

(١) عبد الحميد الكاتب هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى أحد أهالي الشام ثم كان أخيراً كاتباً لمروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي آخر خلفاء الدولة الاموية وقد كان ولم يزل الى الآن يضرب به المثل في البلاغة فيقال أبلغ من عبد الحميد

صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم فجعلكم معشر الكتّاب في أشرف الجهات أهل الادب والمروآت والعلم والرزانة بكم ينتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يبصرون وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يبطشون فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضافه من النعمة عليكم وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتّاب اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره أن يكون حليماً في موضع الحلم فهيماً في موضع الحكم مقداماً في موضع الاقدام محجاماً في موضع الاحجام مؤثراً للعفاف والعدل والانصاف كتوماً للاسرار وفياً عند الشدائد عالماً بما يأتي من

النوازل يضع الا ورمواضعها والطوارق فى أما كنهاقد نظر في كل فنّ من فنون العلم فأحكمه وان لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفي به . يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعدّ لكل أمر عدّته وعتاده ويهيء لكل وجه هيئته وعادته فتنافسوا يامعشر الكتّاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين وابدأوا بعلم كتاب الله عزّ وجلّ والفرائض ثم العربية فانها تثقف ألسنتكم ثم أجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبهاومعانيهاوأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسمو اليه هممكم ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتّاب الخراج وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف الامور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزّهوا صناعتكم عن الدناءة وارباًوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة فانها عداوة مجتلبة من غير احنة. وتحابوا في الله عزّ وجلّ فى صناعتكم وتواصوا

عليها بالذي هو أليق لاهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه أمره. وان أقعد أحداً منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته. وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه أحوط منه على ولده وأخيه فان عرضت في الشغل محمدة فلا يصرفها الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتّاب أسرع منه الى الغراء وهو لكم أفسد منه لها فقد علمتم أن الرجل منكم اذا صاحبه من يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره ما هو جزاء لحقه ويصدق ذلك تبعاً له عند الحاجة اليه والاضطرار الى ما لديه فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والاحسان والسرّاء والضرّاء

فنعمت الشيمة هـذه من وسم بها من أهل هـذه الصناعة الشريفة . واذا ولى الرجل منكم أو صير اليه من أمر خلق الله وعياله أمر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقاً وللمظلوم منصفاً فان الخلق عيال الله وأحبهم اليه أرفقهم بعياله. ثم ليكن بالعدل حاكماً وللاشراف مكرماً وللفيء موفراً وللبلاد عامراً وللرعية متألفاً وعن أذاهم متخلفاً .وليكن فى مجلسه متواضعاً حليماً وفي سجلات خراجه واستقضاء حقوقه رفيقاً . واذا صحب أحدكم رجلاً فليختبر خلائقه فاذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على ما يوافقه من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبح بألطف حيلة وأجمل وسيلة وقد علمتم أن سائس البهيمة اذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفة أخلاقها فان كانت رموحاً لم يهجها اذا ركبها وان كانت شبوباً اتقاها من بين يديها وان خاف منها شروداً توقاها من ناحية رأسها وان كانت حروناً قمع برفق هواها فى طرقها فان استمرت عطفها يسيراً فيساس له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس

وعاملهم وجربهم وداخلهم . والكاتب لفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس ويناظره ويفهم عنه أو يخاف من سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاباً الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها . ألا فارفقوا رحمكم الله في النظر واعملوا ما أمكنكم فيه من الروية والفكر تأمنون باذن الله ممن صحبتموه النبوة والاستثقال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيرون منه الى المؤاخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه وسركبه ومطعمه ومشربه ونباله وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير . واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان أهلهما ولا سيما الكتّاب

وأرباب الآداب. وللامور أشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف أعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم أسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة وأصدقها حجة وأحمدها عاقبة. واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فان ذلك مبلحة لفعله ومدفعة للشاغل عن اكثاره وليضرع الى الله في صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله وآدابه فانه ان ظنّ منكم ظانّ أو قال قائل ان الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرّض بحسن ظنه أو مقالته الى أن يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقول أحد منكم انه أبصر بالامور وأحمل لعبء التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته فان أعقل الرجلين عند ذوي الالباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى أن أصحابه أعقل منه وأجمل

في طريقته. وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكابر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره . وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته ﴿ وأنا أقول ﴾ في كتابي هذا ما سبق به المثل : من تلزمه النصيحة يلزمه العمل. وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل . فلذلك جعلته آخره وتممته به تولانا الله وإياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. انتهى

إعلان

مؤلفات المؤلف

رواية الحجاج	(تشخيصية)	نفدت
رواية فاتنة الملوك	(نثرية)	«
كتاب أمّ الدنيا	(تاريخي) ثمن النسخة ٥ غروش صاغ	
« أبو الدنيا	« « «	«
« الكتابة والكتّاب	« « «	«
« الاسلام	« بدون طبع	
« الحياة	(أدبي) بدون طبع	

أو المرأة وحالتها من عهد الخليقة الى الآن

هذا هو الكتاب الذي ينبئنا عن المرأة وحالتها من عهد الخليقة لهذه الايام ويشرح لنا ما انتابها وما تقلب عليها من أنواع التعاسة وضروب السعادة منتهياً ذلك بخلاصة ما تستحقه المرأة في الهيئة الاجتماعية على وجه العموم سواء كانت مسلمة أو مسيحية أو يهودية أو مجوسية أو غير ذلك من كل امرأة توجد تحت هذه القبة الزرقاء . ذلك السفر الذي جمع فأوعى من النقط التاريخية والحكم العالية والآيات البينات التي لا يحصل عليها الانسان الا بعد العناء الزائد والبحث الشديد وبذل ما لديه من النفس والنفيس . وهو يطلب من مؤلفه حضرة السيد الاديب على أفندي أحمد الشهيدي بنظارة الحربية بمصر

أبو الدنيا

﴿ أو تاريخ الكون والانسان من عهد الخليقة الى الآن ﴾

أبو الدنيا هو الكتاب الذى اشتمل على ما يميل لتلاوته الانسان وتستلذ لسماعه الآذان لانه يبحث في تاريخ الكون ومشتملاته من ارض وماء وهواء وسماء . وكذلك يبحث في تاريخ الانسان ومتعلقاته من عهد أن خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون — وعلى العموم فان القاريء بعد أن ينتهي من تلاوة ذلك الكتاب يرى نفسه كأنه كان وقتما كون الله الاكوان وحينما خلق الانسان . بل يطلع على خلاصة أفكار الاوائل والاواخر في كيفية تكوين الكون وخلقة الشخص الذي تناسل منه النوع الانساني

بعد ذلك كأنه قاموس الحياة من عهد الخليقة الى الآن حيث يقف على ما اذا كان آدم المعلوم لنا الآن هو أوّل انسان خلقه الله أم هناك غيره وغيره . فضلاً عما يتخلل ذلك من الإفكار المفيدة عن عقل الانسان الذى امتاز به عن كافة المخلوقات . وعن كيفية معيشته الاولى التي تدرج منها الى ما وصل اليه الآن. وعن كيفيه تفاهمه ونطقه حتى أوجد لنفسه لغة تفرعت منها اللغات العديدة المنتشرة الآن في بقاع الارض. وعن اللغة الاولى التي تكلم بها الانسان الاول. وعن عمره من عهد ان خلقه الله فضلا عن ان ذلك قد اشتمل عليه (أبو الدنيا) بأفصح عبارة وأوجز مقال وأسهل تعبير بحيث أنه يغني الانسان عن المجلدات الضخمة والمؤلفات الطويلة العريضة التي تحتاج في تلاوتها للوقت الطويل والتعب الشديد والصحة المستديمة . وثمن النسخة خمسة غروش صاغ وهو ويطلب من مؤلفه حضرة السيد المحترم علي أفندي أحمد الشهيدي الموظف بنظارة الحربية بمصر

(تم الكتاب ولله الحمد)